اتجاه الرهان على رابين. لقد كشفت بعض الترتيبات والخطوات الاجرائية المتعلّقة بالحكم الذاتي، مثل تشكيل القوة الامنية الفلسطينية وغيرها، ان الامر بات قيد التعاطي المباشر مع الوضع الاسرائيلي الجديد. وربما كشف عن ذلك، أيضاً، وإنْ كان بصورة غير مباشرة، اشتباكات «فتح» و«حماس» في قطاع غزة، والتي تتعلّق في جانب مهم منها بقضية النفوذ والسلطة عل الارض عشية الاستحقاقات المقبلة.

وفي ضوء كل ما تقدم، يمكن القول، ان مرحلة جديدة تتعلّق باسرائيل قد بدأت، وهي لم تبدأ من فراغ بل مهّدت لها مقدّمات طويلة، وعاظمت من امكانياتها ان ظروف وملابسات تهيّأت، لأول مرة، لا تستبعد لاسرائيل دوراً و«وظيفة» في المنطقة، وثمّة قنوات قد فتحت، سواء عبر المفاوضات الثنائية أو المتعدّدة أو أي اطارات أخرى محتملة، لتحقق الفكرة التي كانت مستحيلة في السابق لقيام نوع من التكامل بين الاسرائيليين والعرب. وفي هذا النطاق، وجد بعض الفلسطينيين، اليوم، أنفسهم أكثر جرأة بين كل الاطراف في الاعلان عن آراء تطرح امكانية مستقبلية لقيام اتحاد كونفدرالي بين دولة فلسطين واسرائيل، في حين يتشبث الموقف الرسمي الفلسطيني بقبوله حلاً يقوم على أساس اتحاد كونفدرالي فلسطيني ـ اردني. وفي رأي هذا البعض، ان هذا لن يتحقق الاّ بتسوية شاملة تستوعب الأماني المشروعة للشعب الفلسطيني في نيل استقلاله الوطني وتقرير مصيره وبانسحاب اسرائيل من على الاراضي التي احتلتها العام ١٩٦٧[٦٢]. ولا شك ان مثل هذه التسوية سوف لن تنهي التناقضات بين الفلسطينيين والعرب من جهة وبين اسرائيل من جهة ثانية، لكنها ستدفع نحو اعادة ترتيب هذه التناقضات وفق مصالح جميع الاطراف. ويطرح مثل هذا التصور الذي يبدو وكأنه احد الحلول المتداولة، اياً يكن المدى الزمني الذي قد يستغرقه، سؤالاً على قدر كبير من الاهمية وهو: هل بامكان اسرائيل ان توفق بين ان تكون تجسيداً للمشروع الصهيوني وبين ان تصبح جزءاً من المنطقة لها دور تنموي واقتصادي فيها؟

يستطيع المرء ان يقرر ان مثل هذا التوفيق أمر مستحيل، لأن دور اسرائيل، كتجسيد للمشروع الصهيوني، سوف يصطدم، باستمرار، بجدار الرفض العربي له، كما ان تمسّكها به سوف يفضي، في الواقع، الى رفضها للتسوية، ممّا يضعها في تناقض وعزلة عن المجتمع الدولي. في المقابل، فان استعداد اسرائيل للتطبيع في المنطقة سوف يؤدي، رغماً عنها، الى تعريض صميم مكوناتها للتفكك والاهتزاز. وربما يؤدي ذلك، على المدى البعيد، الى ميلاد دولة موحّدة تجمع الفلسطينيين والاسرائيليين؛ دولة لن تكون بعيدة عن ذاك التصور الذي طرحته المقاومة الفلسطينية في أول عهدها باقامة دولة علمانية ديمقراطية. ولعلّ ما عجز السلاح عن ان يوفّره في الواقع يكون السلام أقرب الى تحقيقه. لكن ذلك يبقى مرهوناً في سعي اسرائيل لأن تكون جزءاً من المنطقة، وان تقنع دولها، جميعاً، بأنها لم تعد تجسيداً لمشروع منفصل عن مصائر المنطقة، أو موجّهاً ضدها.

ان ما يكشف عنه مثل هذا السيناريو الواقعي والمحتمل هو ان ما يبدو للبعض تصدّعاً في مقولات م.ت.ف. ومفاهيمها، وتخلياً عن مجمل شعاراتها السابقة، انما هو، في واقع الامر، تصحيحاً واعادة بناء لمقولات كان لا بدّ لها ان تخضع لمثل هذه التعديلات والانهيارات التي عاندت الواقع ولم تساعد في حل الصراع مع اسرائيل بما يعود على الشعب الفلسطيني بالفائدة. كما ان هذا التصدّع لم يصب الجبهة الفلسطينية فحسب، بل أصاب وسوف يصيب الجبهة الاسرائيلية التي تشهد قاعدة مفاهيمها الصهيونية تصدّعاً عنيفاً يلقي بظلاله على هويتها ومستقبلها في المنطقة.

وفي هذا السياق، لا بدّ من التأكيد ان العنف الاسرائيلي كان أحد الاسباب الرئيسة التي